المجلس (٥)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأَتَمَّانِ الأَكْمَلَانِ عَلَىٰ المَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بَعْدُ؛

فمرحبًا بالفضلاء في مجلس علم في مسجد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حيث نجلس بعد فجر السبت في مسجد رسولنا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نتدارس كتابًا من كتب العقيدة تتعلق بحق ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علينا، وَمَا يجب أن يعتقده العبد، ونحن في هٰذِه الأوقات أو الأيام نتدارس كتاب: **(كشف الشبهات)** للإمام المُجَدِّدِ مُحَمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

هٰذَا الكتاب الَّذِي ما قرأه موحدٌ إِلَّا ثبت بفضل الله عَلَىٰ توحيده، لا تضره الشبهات، ولا تُزعزعه الفتن، ولو كان بين أقوامٍ يُخالفونه فإنه يكون ثابتًا كالجبال الراسيات، وما قرأه مخالفٌ بتجردٍ وإنصاف إِلَّا عرف الحق وانكشفت عنه الشبهات، وهُدي هداية الدلالة والبيان، أما هداية التوفيق فهي بيد الله عَزَّ وَجَلَّ.

ولا زلنا نقرأ في المقدمة الممهدة الَّتِي مَهَّد بها الشيخ رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لكشف الشبهات، وقلنا: إنها تتضمن أصولًا.

وكان الشيخ رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بعد أن قَرَّر بالأدلة الساطعة والبراهين القاطعة أن ما بعث به رُسل الله عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جميعًا، وبُعث به خاتمهم وأشرفهم نَبِيِّنَا مُحَمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو التوحيد؛ أن يُعبد الله وحده، وأن يُكفر بالطاغوت، خاطب المُوحِّد الَّذِي أنعم الله عليه بالتوحيد، أنه إذا عَرَف معرفة يقينية من قلبه أن معنى لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ: أن يُعبد الله وأن يُكفر بالطاغوت، أن يقول ذلك المسلم بلسانه ويعتقده بقلبه ويعمل به ويحققه.

وأن كفار قريش الَّذِين كانوا في جاهلية جهلاء أدركوا هٰذَا، وعلموا أن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما دعاهم إِلَىٰ قول لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دعاهم إِلَىٰ توحيد المعبود، والكفر بالطاغوت، فنفروا واستكبر كثير منهم وتعجبوا، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

وأيقن من قلبه -أعني: الموحِّد- أن الدين الَّذِي بُعث به الرسل هو التوحيد وهو الَّذِي أنعم الله عليه به، وأيقن من قلبه أن كثيرًا من الناس جُهَّال بهٰذَا، فنظر إِلَىٰ واقع الحال فرأى الأعداد الكبيرة من الناس تجهل هٰذَا الأمر.

أفاده ذلك فائدتين:

الفائدة الأولى: أن يفرح بفضل الله عليه، حيث اختص من بين المليارات من الناس بهذه النعمة نعمة التوحيد والكفر بالطاغوت والبراءة من الشِّرْك، وقد تقدم شرح هٰذَا والتعليق عليه.

وتوقفنا عند الفائدة الثانية: فيتفضل الابن نور الدين، وَفَّقَهُ اللهُ والسامعين، يقرأ لنا من حيث وقفنا.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ. أَمَّا بَعْدُ؛ فاللهم اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قَالَ الإمام المجدد شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في رسالته: (كشف الشبهات):

وَالثَّانِيَةُ أَفَادَكَ أَيْضًا: الخَوْفَ العَظِيمَ.

(الشرح)

هٰذِه الجملة متعلقة بما قبلها، وهي أَيْضًا متضمنة لأصل من الأصول الممهدات لدك الشبهات ونسفها.

وذلك الأصل: هو أن من علامات صحة التوحيد: الخوف من الشِّرْك، فالموحِّد لا يغفل عن نفسه ويظل خائفًا من الشِّرْك كله كبيره وصغيره؛ يخاف الشِّرْك عَلَىٰ نفسه، ويخاف الشِّرْك عَلَىٰ أهله، ويخاف الشِّرْك عَلَىٰ من حوله، فيظل طول عمره يقرأ في التوحيد ويُعلِّم التوحيد ويدعو إِلَىٰ التوحيد.

فهو لإدراكه عِظَم نعمة التوحيد يخاف عليها ويحذر أن يُكدِّرَهَا أو يزيلها بشرك، قَالَ تَعَالَىٰ في دعاء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، وإذا كان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ

يخاف الشرك ويحذره، ويسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يُجنِّبه وبنيه الشِّرْك، وهو لنا أُسوة ولنا قُدوة، فإنَّا أَوْلى بذلك وأحرى بذلك أن نخاف الشِّرْك وأن نحذر الشِّرْك، ولذلك قَالَ إبراهيم التيمي رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "من يأمن البلاء بعد قول إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]".

وَمِمَّا يجعل المؤمن شديد الخوف من الشِّرْك أنه يعلم أن من الشِّرْك ما يكون خفيًا جدًا، فعن أبي علي قَالَ: خَطَبَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ؛ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ. فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَزْنٍ، وَقَيْسُ بْنُ الْمُضَارِبِ فَقَالَا: وَاللَّهِ لَتَخْرُجَنَّ مِمَّا قُلْتَ -يعني لتأتين بدليلٍ عَلَىٰ ما قلت-، أَوْ لَنَأْتِيَنَّ عُمَرَ مَأْذُونٌ لَنَا أَوْ غَيْرُ مَأْذُونٍ.

قَالَ: بَلْ أَخْرُجُ مِمَّا قُلْتُ، خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ؛ فَإِنَّهُ أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ»، فَقَالَ لَهُ: مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ، وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: قُولُوا: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُ» رواه أحمد والطبراني في الأوسط، وصححه الألباني.

وروى البخاري في الأدب المفرد، وصحَّحه الألباني رَحِمَ اللهُ الجَمِيعَ أن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وانظروا قَالَ لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لخير الناس بعد الأنبياء عَلَيْهِم السَّلَامُ: «يا أبا بكرٍ، لَلشِّركُ فيكم أخْفىٰ من دبيبِ النَّملِ».

وهٰذَا يجعل المؤمن خائفًا من الشِّرْك، حريصًا دائمًا عَلَىٰ أن يتقي الشِّرْك، يخاف عَلَىٰ نفسه كدر الشِّرْك ما دامت روحه باقية في جسده، فيجمع المؤمن الموحد بين الفرح العظيم بنعمة الله وفضل الله، والخوف مِمَّا يُضاد التوحيد من الشِّرْك الأكبر، أو يُنقصه من الشِّرْك الأصغر.

هٰذِه حياة الموحِّد؛ فرحٌ بالتوحيد وحرصٌ عليه، وخوف من الشِّرْك وحذرٌ منه، حَتَّىٰ يُفارق هٰذِه الدنيا ويكون آخر كلامه من هٰذِه الدنيا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فيعيش عَلَىٰ التوحيد محققًا، معتزًا، فرحًا، خائفًا من الشِّرْك ويثبت عَلَىٰ ذلك، حَتَّىٰ يخرج من هٰذِه الدنيا وهو يقول: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فيُبشر بالبشارة العظمى عند لقاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: فَإِنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الإِنْسَانَ يَكْفُرُ بِكَلِمَةٍ يُخْرِجُهَا مِنْ لِسَانِهِ مَازِحًا.

(الشرح)

إن الكلام ينبغي عَلَىٰ الإنسان أن ينتبه له انتباهًا عظيمًا، فإن الإنسان «قَدْ يَقُولُ الكَلِمَةَ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»، إن الإنسان قد يقول الكلمة مازحًا من سخط الله، الكلمة من سخط الله لكن يقولها مازحًا، ويقول: ما هو إِلَّا مزاح، قد يهوي بها في النَّار سبعين خريفًا، كما أخبر بذلك النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالواجب عَلَىٰ المؤمن أن يبتعد عن كل قول يُسخط الله، وألا يستقل من ذلك شيئًا، فلعله أن يقول من ذلك شيئًا لا يظن أنه يبلغ ما يبلغ من إسخاط الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيسخط الله عليه، فيهوي بهذه الكلمة الَّتِي استقلها في النَّار سبعين خريفًا.

ومن ذلك الكلمات الشركية، كما يحصل من بعض الناس اليوم من الاستهزاء بالدين وبفرائض الدين المعلومة لتضييع الوقت كما يقولون وللمزاح، فتجد أنهم يصورون مقاطع فيها سخرية من الصلاة واستهزاء بالمصلين، يقولون زعموا: مزاحًا، وكالاستهزاء بالموحِّدين، والاستهزاء بالدعوة إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والاستهزاء بطلب العلم، يقولون: إِنَّمَا نخوض ونلعب.

وأعظم من ذلك الاستهزاء بالله عَزَّ وَجَلَّ، والاستهزاء برسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما نرى في هٰذِه الأمراض الَّتِي شاعت في زماننا في هٰذِه الوسائل والبرامج والتطبيقات الَّتِي يجب عَلَىٰ المؤمن أن يحذر حذرًا شديدًا من أن يُشارك أهلها في هٰذَا البلاء العظيم.

إياك يا عبد الله إذا رأيت هٰذَا المقطع أن تنظر إليه، إن كنت نظرت إليه لأول مرة؛ لأنك لا تعلم مضمونه فإياك أن تُعيد النظر إليه فإنك تشارك أهله، وإياك أن تُرسل هٰذَا المقطع إِلَىٰ غيرك، والشيطان يضحك عَلَىٰ بعض الناس يقول: أرسله لإخوانك حَتَّىٰ يُنكروه، لا حاجة لأن يعلموه.

ينبغي يا إخوة الحذر من هٰذَا الزلل العظيم، ومن هٰذَا الباب ما حصل من النفر الَّذِين كانوا يستهزئون بصحابة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل وبرسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويقولون إِنَّمَا كنا نخوض ونلعب، فأنزل الله فيهم: ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦].

فقد روى ابن أبي حاتم رَحِمَهُ اللهُ عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما قَالَ: قَالَ رجل في غزوة تبوك في مجلس يومًا: ما رأيت مثل قُرَّائنا هؤلاء أرغبَ بطونًا ولَا أكذبَ ألسنةً، ولَا أجبنَ عند اللقاء! فَقَالَ رجلٌ في المجلس: كذبت، ولكنك منافق! لأخبرن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فبلغ ذلك النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونزل القرآن.

قَالَ ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما فأنا رأيته متعلقًا بناقة رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تنكبُهُ الحجارة، وهو يقول يا رسول الله إِنَّمَا كنا نخوض ونلعب، ورسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥]، قَالَ الشيخ مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: **"هٰذَا الحديث رجاله رجال الصحيح، إِلَّا هشام ابن سعد فلم يُخرِّج له مسلم إِلَّا في الشواهد"**، قَالَ: **"وله شاهد حسن عند ابن أبي حاتم من حديث كعب بن مالك"**.

فالإنسان قد يقول الكلمة بلسانه من الكفر وَالشِّرْك يمزح بها، يستهزأ بها، يقضي بها الوقت فيكفر بهذا -وَالعِيَاذُ باللهِ-، إذا علم المؤمن هٰذَا كيف لا يكون حذرًا من الشِّرْك؟ كيف لا يكون خائفًا من الكفر؟

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: وَقَدْ يَقُولُهَا وَهُوَ جَاهِلٌ؛ فَلَا يُعْذَرُ بِالجَهْلِ.

(الشرح)

قد يقول الكلمة الكفرية وهو جاهل فلا يُعذر بالجهل، فيكفر بذلك مع جهله، وهٰذِه المسألة أعني: مسألة العذر بالجهل في مسائل الشِّرْك، مسألة دقيقة، وضَلَّت فيها أفهام، وحصلت فيها أوهام، وزلَّت فيها أقدام.

❍ وأنا سأعرضها هنا بين أيديكم عرضًا علميًا من جهتين:

⇦ الجهة الأولى: تحرير رأي الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في المسألة.

⇦ والجهة الثانية: كلام أهل العلم في المسألة.

وقبل أن نتكلم في المسألة، أُؤكد أن كلامنا فيها إِنَّمَا هو بين أقوام يعلمون التوحيد ويعتقدونه ويدعون إليه، ويعلمون الشِّرْكَ وقُبحه وينهون عنه جملةً وتفصيلًا، ويعتقدون الإيمان قول واعتقاد

وعمل، وأن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، وأن الكُفر ليس خاصًا بجحود القلب كما هو معلوم ومتقرر عند أهل السُّنَّة.

فهم لا يختلفون في أصول أهل السُّنَّة، وَإِنَّمَا يختلفون في شيء واحد: من فعل مسألةً من الشِّرْك الَّتِي يُكَفِّرُ مَن فَعَلها إذا اجتمعت فيه الشروط وانتفت الموانع وكان جاهلًا عند فعله لها، هل يُقال: إنه فعل شركًا وعَلَىٰ خطر عظيم، لكنه لا تُجرىٰ عليه أحكام الكافر لجهله؟ أم يُقال: إنه خرج بذلك عن ملة الإسلام، وتُجرىٰ عليه أحكام الكافر؟

وقبل أن أقرر المسألة من الجهتين: أُحرر محل الكلام فيها؛ لأن محل الكلام فيها لم يُحرر عند كثير من الخائضين فيها، فنتج عن ذلك إلزام ما لا يلزم وتباعد الآراء والخصومات.

❐ وأحرر ذلك في نقاط:

☜ **النقطة الأولى:** نحن في هٰذِه المسألة لا نتكلم عمن لم يأت بالشهادتين، فإن من لم يأت بالشهادتين بعد بعثة النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس مسلمًا، وهو كافر في الظاهر مطلقًا -أي: في أحكام الدنيا- وتلحقه أحكام الكفار، أما في الآخرة فإن كان علم بالنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يؤمن به، فإنه من أهل النَّار.

أما من لم يعلم بالنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علمًا تقوم عليه به الحُجة فالله أعلم به، لكن أقوى ما قيل: **"أنه يُختبر يوم القيامة"**، فإن أطاع دخل الجَنَّة، وإن عصى دخل النَّار، فهو كأهل الفترة بين الرسل، هٰذَا انتهينا منه.

☜ **النقطة الثَّانية:** نحن لا نتكلم في هٰذِه المسألة عمن أتى بالشهادتين فلم يُقبل ذلك منه أصلًا ولم يُحكم بإسلامه، فهٰذَا لم يدخل في الإسلام أصلًا.

☜ **النقطة الثَّالثة:** نحن نتكلم عمن أتى بالشهادتين، وقُبل ذلك منه، وحُكِم بإسلامه، ثُمَّ أتى بناقض من نواقض التوحيد وهو لا يعلم، فإنه وقع في كفرٍ وعَلَىٰ خطرٍ عظيم، لكن هل يُحكَم بكفره أو يُعذر بجهله؟ هٰذِه المسألة.

☜ **النقطة الرابعة:** نحن لا نتكلم مع من يُنازع في كون الناقض لمرتكب كفرًا أن ذلك كفر، وَإِنَّمَا نتكلم مع من يعتقد مثلنا أن فعل ذلك كفر، وننظر نحن وهو: هل يُعذر فاعله بجهله أو لا؟

النقطة الخامسة: الجهل نوعان، لَا بُدَّ من معرفة هٰذَا:

النوع الْأَوَّلُ: جهل إعراضٍ وإباء، وذلك إذا وُجد من يُعلِّمُ وينبه، ولكن أعرض المعرض وأبى أن يتعلم، وقد بُذل له العلم وقُرِّب إليه العِلم. هٰذَا نعم جاهل، لكنه قصد الجهل وأراد الجهل وتعمَّد الجهل، وأبى أن يعرف حق ربه عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والقسم الثَّانِي من الجهل: جهلٌ لعدم وجود من يُنبِّه، وعدم وجود من يُعلِّم، وقد يجتمع مع ذلك وجود من يُرشد إِلَىٰ الضلال، ويزعُم أنه هُدى وأنه الإسلام، فهٰذَا الجاهل لا يُريد الشِّرْك ولا يُريد الجهل، لكن لم يجد من يُعلِّمه، ولم يجد من يُنبِّهه، ويُقرر له التوحيد ويُبيِّن له الشِّرْك، ولو وجد لتعلَّم، ولم يُنبهه أحدٌ أن هٰذَا شِرك، بل قد يوجد في بلاده من يُقرِّر في الخطب وغيرها الشِّرْك عَلَىٰ أنه توحيد ويدعو الناس إليه، فهٰذَا جهل لا يستطيع صاحبه أن يدفعه.

وبناءً عَلَى ذلك نتكلم في المسألة من جهتين، كما قدمت لكم:

الجهة الأولى: تحرير رأي شيخ الإسلام المُجدِّد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ في المسألة، وذلك أن الإمام رَحِمَهُ اللهُ جاءت عنه عباراتٌ تدل عَلَىٰ عدم العُذر بالجهل في هٰذِه المسائل، وجاءت عنه عباراتٌ تدل عَلَىٰ العُذر بالجهل في هٰذِه المسائل، وجاءت عنه عباراتٌ تدل عَلَىٰ العُذر بالجهل في بعض هٰذِه المسائل، وعَلَىٰ عدم العُذر بالجهل في بعض هٰذِه المسائل، فَلَا بُدَّ من التأليف بين هٰذَا الكلام، والتوفيق بينه.

فمن العبارات الَّتِي جاءت عن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ وتدل عَلَىٰ عدم العذر بالجهل في هٰذِه المسائل: هٰذِه العبارة الَّتِي معنا، الَّتِي قرأها الابن نور الدين، ومن تلك العبارات أَيْضًا قوله (في النواقض): "**ولا فرق في جميع هٰذِه النواقض بين الهازل الجاد، والخائف، إِلَّا المُكرَه**"، ففهم جماعةٌ من الشيوخ وطلاب العلم أنه لا يعذر في النواقض إِلَّا بالإكراه؛ لاستثنائه الإكراه، فهو إن لم ينص عَلَىٰ الجهل، لكنه لم يستثني إِلَّا الإكراه، وفي كتاب التوحيد، في مسألة: (**لُبس الحلقة من صفر من أجل الواهنة**)، قَالَ: "**إنه لم يُعذر فيها بالجهالة**".

ومن العبارات الَّتِي تدل عَلَىٰ أنه رَحِمَهُ اللهُ كان يرىٰ العذر بالجهل إذا تحقق في هٰذِه المسائل كلها: قوله رَحِمَهُ اللهُ كما في الدرر السُّنِّيَّة: "**وإذا كنا لا نُكفِّر من عبد الصنم الَّذِي عَلَىٰ قبر عبد القادر والصنم الَّذِي عَلَىٰ قبر أحمد الأحمد البدوي، وأمثالها لأجل جهلهم وعدم من ينبههم**" انتبهوا يقول:

"**وإذا كنا لا نُكفِّر**"؛ نص في عدم التكفير، "**من عبد الصنم الَّذِي عَلَىٰ قبر عبد القادر الجيلاني، والصنم الَّذِي عَلَىٰ قبر أحمد البدوي**"؛ مسألة كبيرة جدًا من مسائل التوحيد، وَهٰذَا الَّذِي وقع من أعظم مسائل الشِّرْك.

يقول: لماذا؟ "**لأجل جهلهم وعدم من يُنبِّهُهُم، فكيف نُكفِّر من لم يشرك بالله، إذا لم يُهاجر إلينا. سبحانك هٰذَا بهتان عظيم**"؛ فالحظ أن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في هٰذَا الكلام يُقرر أنه لا يُكفر من عبد الصنم هكذا سماه، وَهٰذِه مسألة ظاهرة جدًا "**الَّذِي عَلَىٰ قبر عبد القادر وعَلَى قبر أحمد البدوي**"؛ من أجل جهله الحقيقي وهو عدم من يُنبههم، ثُمَّ الحظ: أنه وصف نسبة التكفير إليه بغير برهان من الله بأنها بهتان عظيم عليه رَحِمَهُ اللهُ.

☚ **وهناك عبارات كما قلت تدل عَلَىٰ أنه يعذر بالجهل في مسائل الشِّرْك الخفية، دون مسائل الشِّرْك الظاهرة:** حيث قَالَ كما في الدرر السنية: "**الشخص المعين إذا قَالَ ما يُوجب الكفر فإنه لا يُحكم بكفره، حَتَّىٰ تقوم عليه الحُجَّة الَّتِي يكفر تاركها، وهٰذَا في المسائل الخفية الَّتِي قد يخفى دليلها عَلَىٰ بعض الناس، وَأَمَّا ما يقع في المسائل الظاهرة الجليَّة، أو ما يُعلم من الدين بالضرورة، فهٰذَا لا يُتوقف في كفر قائله**"، في العبارة هٰذِه فرَّق بين المسائل الخفية والمسائل الظاهرة.

وقال كما في الرسائل الشخصية له رَحِمَهُ اللهُ: "**فإن الَّذِي لم تقم عليه الحُجة هو حديث العهد بالإسلام، وَالَّذِي نشأ ببادية بعيدة، أو يكون ذلك في مسألة خفية، مثل: الصرف والعطف، فلا يُكفَّر حَتَّىٰ يُعرَّف**"، والحظ رعاك الله: أنه مثَّل للمسائل الخفية بالصرف والعطف، وتذكر أنه ذكر في النواقض من النواقض السِّحر، ومنه الصرف والعطف.

فأشار هنا، بل ذكر هنا: أنه في سحر الصرف وسحر العطف، الَّذِي هو ناقض للتوحيد كما قرره رَحِمَهُ اللهُ يُعذَر فيه بالجهل؛ لأن بعض الناس قَالَ: قصده بالمسائل الخفية الفروع، هٰذَا غير صحيح، فإن الكلام عن المسائل الَّتِي يُحكم فيها بالكفر، فإذا كانت خفيةً قد تخفَى عَلَىٰ البعض هكذا ضبطها رَحِمَهُ اللهُ، فإنه يعذر فيها بالجهل، فَلَا بُدَّ من التوفيق بين هٰذَا الكلام.

ما رأي شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ، هل رأيه الْأَوَّلُ، أو الثَّانِي، أو الثَّالِث؟

✍ **فمن الناس:** من حمل كلامه في عدم العذر بالجهل: عَلَىٰ المسائل الظاهرة، وحمل كلامه في العذر بالجهل: عَلَىٰ المسائل الخفية، وفعلوا مثل هٰذَا في كلام شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة، قالوا: "**كلامه**

المُفَصَّل نحمل عليه كلامه المُطْلَق"؛ فكلامه المُطْلَق في عدم العذر بالجهل: إذا كانت المسألة ظاهرةً، وكلامه المطلق في العذر بالجهل: إذا كانت المسألة خفيةً.

وإذا قلنا بهذا عَلَىٰ هٰذَا، فإن الظاهر والخفاء ليس وصفًا ملازمًا للمسألة، بل قد تكون المسألة في مكان وزمان ظاهرةً، وتكون في زمان ومكان آخرين خفيةً، بدليل أنه في كلامه رَحِمَهُ اللهُ في العذر بالجهل، ذكر مسألة من حيث ذاتها ظاهرة جدًا، لكنها قد تكون خفية لعدم وجود من ينبه، كما نص عَلَىٰ ذلك.

✍ **ومن الناس من قالَ:** إن رأي الشيخ رَحِمَهُ اللهُ هو عدم العذر بالجهل في هٰذِه المسائل، وما جاء عنه من عباراتٍ فُهِم منها العذر لها سبب خاص، كَرَدِّ ما اتخذه الأعداء وسيلةً للتنفير من دعوة التوحيد.

وفي هذَا التوجيه نظر واللهُ أَعْلَمُ: فإن المعروف عن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أنه لا يقول خلاف ما يعتقده، لا لرد تُهَم الخصوم ولا لغير ذلك، فحاشاه أن يقول: أنا لا أُكفِّر، وهو يُكفِّر، والله إنا ندفع عنه ذلك رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً.

✍ **ومن الناس من قالَ:** إن الكلام الَّذِي فيه العذر بالجهل، المقصود به: في أحكام الدنيا، أما في الباطن عند الله: فالجهل لعدم وجود من يُنبِّه أو يُعلِّم، عُذر، ويُعامل معاملة أهل الفطرة؛ يعني: قَالَ هؤلاء: إن الكلام الَّذِي فيه عدم العذر بالجهل مطلقًا في هٰذِه المسائل المقصود به: في أحكام الدنيا، في إجراء الأحكام في الدنيا، حمايةً للتوحيد وتقبيحًا للشِّرْكِ، واحتياطًا للإنسان حَتَّىٰ لا يُوالي مشركًا ولا يستغفر لمشرك.

أما العبارات الَّتِي فيها العذر بالجهل، فالمقصود منها: إذا كان الجهل عن عدم تنبيه وتعليم، لا عن إعراض، وذلك يوم القيامة، فإن هٰذَا يكون كأهل الفطرة عند الله، يُختبر وعَلَىٰ اختباره يكون مآله هل إِلَىٰ الجنة أو إِلَىٰ النَّار.

وأنقل لكم هنا كلام الشيخ العالم المُحقِّق الشيخ: صالح آل الشيخ، هٰذَا الرجل دقيقٌ في علمه مفيدٌ في فوائده، اثنان أفرح بكلامهما كَثِيْرًا لما فيه من التدقيق والإفادة للبحث الجيد والعلم، نحن نفرح بكلام كل العلماء، ولكني أنا أقول: إن اثنين إذا وجدت لهما كلامًا في المسألة أفرح بكلامهما لما ذكرت أَحَدُهُمَا: الشيخ صالح آل الشيخ، مُوفَّقٌ مُدقِّق، وَالثَّانِي: الَّذِي يُدرِّس عَلَىٰ هٰذَا الكرسي: الشيخ

عبد الرزاق البدر، في كلامه فوائد عجيبة، ولا سيما في النقل عن السلف، فمنذ عرفته وأنا طالبٌ في الكلية، وهو يتميز بهذه الميزة، النقل عن السلف، يأتيك بفائدة نفيسة جدًا في نقله أثرًا والتعليق عليه ونحو ذلك، وفي كل علماء أهل السُّنَّة خيرٌ وفوائد.

الشيخ صالح آل الشيخ حَفِظَهُ اللهُ عند هٰذَا الموطن في كشف الشبهات.. أنا كما قلت سأعرض المسألة عرضًا علميًا، وأقررها تقريرًا علميًا رحمةً بطلاب العلم أَجْمَعِيْنَ، الَّذِين يقولون: بالعذر، وَالَّذِينَ لا يقولون: بالعذر، وسأذكر رأيي في آخر الكلام إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

يقول الشيخ صالح آل الشيخ حَفِظَهُ اللهُ: التوحيد تركه ممن تركه راجعٌ إِلَىٰ أحد شيئين، أو هما معًا في بعض الأحوال:

- اَلْأَوَّلُ: الجهل به؛ وقد يكون لعدم وجود من يُنبِّه، وقد يكون للإعراض عن البحث فيه، هٰذَا وضحناه.
- وَالْثَّانِي: العناد والاستكبار؛ وهٰذَا يكون مع العلم وإقامة الحُجة.

وكُلٌّ من الأمرين مُكفِّر، فمن لم يأتِ بالتوحيد عن إعراضٍ منه وجهلٍ فهو كافرٌ، ومن لم يأتِ بالتوحيد ويترك الشِّرْك بالله عن عنادٍ واستكبارٍ فهو كافرٌ، ولهذا قَالَ العلماء: **"الكفر كفران"**؛ يا إخوة الآن الشيخ يتكلم عن الحكم عَلَىٰ الفعل، الَّذِي يُسميه: **"بالتأصيل"**؛ **لأن الشيخ ينظر إِلَىٰ المسألة من جهتين:**

⇦ **جهة يُسميها: "التأصيل"**؛ وهي الحكم عَلَىٰ الفعل، فالفعل الكفري كفرٌ، سواءً كان فاعله عالمًا معاندًا أو جاهلًا، هٰذَا لا يُخرجه عن وصفه بكونه كفرًا.

⇦ **والأمر الْثَّانِي الَّذِي يذكره الشيخ:** يسميه هو **"بالواقع"**؛ وهو الحكم عَلَىٰ المُعيَّن، الحكم عَلَىٰ الفاعل.

يا إخوة قلت لكم مرارًا وتكرارًا: من يقرأ كلام العالم لَا بُدَّ من أن يعرف منهج العالم ومصطلحات العالم حَتَّىٰ لا يقع في الخطأ في فهمه، إذًا نحن الآن مع الشيخ في تقرير التأصيل، وهو الحكم عَلَىٰ الفعل.

قَالَ: لهذا قَالَ العلماء: الكفر كفران:

⬅ اَلْأَوَّلُ: كفر إباء واستكبار كقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

وَالثَّانِي: الإعراض كما قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٤].

فهٰذَا وصف بيان، كيف لا يعلمون الحق؟ لإعراضهم، فهم معرضون، فليس كل كافر كَفَر عن عنادٍ واستكبار، بل قد يكون كفره عن الإعراض، ولهذا جاء في أواخر نواقض الإسلام الَّتِي كتبها إمام الدعوة رَحِمَهُ اللهُ: **"الناقض العَاشِر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه، ولا يعمل به"**، لا يُهِمُّهُ أن يعلم التوحيد، ولا يُهِمُّهُ أن يعرف الشِّرْك، مع تيسر ذلك، ولا تُهِمُّهُ هٰذِه المسائل، يُعرض عن دين الله أصلًا.

وإذا تقرر ذلك، فهنا ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بذلك، هٰذَا من جهة الحكم عَلَىٰ الواقع، الحكم عَلَىٰ الناس، عَلَىٰ المعينين، وذلك الَّذِي تكلمنا عليه من جهة التأصيل: أن الكفر قد يكون من جهة الإعراض والجهل، وقد يكون من جهة الإباء والاستكبار، هٰذَا التأصيل.

ومن جهة الواقع: يعني: الحكم عَلَىٰ الناس، فإن المتلبس بالشرك يُقال له: مُشرك، سواءً أكان عالمًا أم كان جاهلًا، هٰذَا من جهة الاسم، والحكم عليه بالكفر يتنوع.

إذًا الشيخ بَيَّن أن فعله يُحكَم عليه بأنه شِرك، وأن الفاعل يُسمى مشركًا، ولا حرج في هٰذَا إذا عُرف المراد، وَأَمَّا الحكم عليه بأحكام الكفر في الدنيا والآخرة فيتنوع، وسيذكر الشيخ التفصيل، وسأشرح تفصيله، هٰذَا نجعله إِنْ شَاءَ اللهُ في الدرس القادم.

هٰذِه المسألة الوحيدة الَّتِي سنُطيل فيها، وقد تقتضي منا عدة أسابيع لنعرضها عرضًا علميًا لينكشف حالها، لعل ذلك أن يُؤَلِّفَ بين القلوب، ولا يلزم أن يُؤَلِّفَ بين الآراء، لا يلزم أن يعود الَّذِي يقول بعدم العذر إِلَىٰ القول بالعذر، أو يعود الَّذِي يقول بالعذر إِلَىٰ القول بعدم العذر.

لكني آمل من طلبة العلم أجمعين إذا تقررت المسألة تقريرًا علميًا أن يدفع ذلك تنافر القلوب، والتشاتم، والتباغض، والتعادي بين أقوام كما قدمنا يتفقون عَلَىٰ التوحيد، ويتفقون عَلَىٰ تقبيح الشِّرْك، ويتفقون عَلَىٰ أصول أهل السُّنَّة، فليس عندهم أصلٌ يوافقون فيه المُرجِئَة، بل يدُكُّون أصول المُرجِئَة دكًّا، وليس عندهم أصلٌ يوافقون فيه أهل الاعتداء في التكفير كالدواعش ونحوهم، وَإِنَّمَا يختلفون في هٰذِه المسألة في الحكم عَلَىٰ مُعيَّنٍ بشروطها.

لعلنا نستمر في بيانها حَتَّىٰ نفرغ إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مقررين ومقربين، ثُمَّ سأُبَيِّن رأيي في المسألة إِنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أجيب عن ثلاثة أسئلة:

⇦ **السؤال الْأَوَّلُ:** هل الَّذِي لا يُكفِّر المشرك الجاهل ويعذره بجهله، يَكفر بذلك ويخرج من الإسلام؛ لأن من لم يُكفر الكافر فهو كافر؟ لأنا سمعنا أن هناك طلاب علم يُكفِّرون من يعذُرُ بالجهل في هٰذِه المسائل بحُجة هٰذِه القاعدة: **"من لم يُكفِّر الكافر فهو كافر"**.

كان هنا في المملكة قبل سنين طويلة، وسأنقل لكم كلام أحد علمائنا معهم، من يُكفِّرون الألباني رَحِمَهُ اللهُ؛ لأنهم يقولون: لأنه يعذر بالجهل في مسائل الشِّرْك، واليوم من عَجَب -أسأل الله أن يهديني وسائر المسلمين- أن بعض من يقولون: أنهم طلاب علم في بعض البلدان غير الإسلامية، يقولون: إن الَّذِي يقول بالعذر بالجهل في هٰذِه المسائل كلامه يُخرِجه من الدين، فسنجيب عن هٰذَا السؤال.

⇦ **السؤال الثَّانِي:** هل من يعذر بالجهل في هٰذِه المسائل مرجئ؟ لأن هٰذِه الكلمة شائعة، وسنجيب عن هٰذَا بعلم بِإِذْنِ اللهِ.

⇦ **والسؤال الثَّالِث:** هل من لا يعذر بالجهل في هٰذِه المسائل تكفيري خارج عن أهل السُّنَّة في صف الدواعش وغيرهم؟ لأن هناك ممن يقول بالعُذر بالجهل من يرمي من لا يعذر بالجهل بأنهم خوارج، بل سمعت من يقول عن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بأنه تكفيري، وأنه مثل الَّذِين تنقمون عليهم أنهم يُكفِّرون المسلمين بالجملة، الَّذِين يقولون: إن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لا تنفعهم، وهٰذَا ضلال، وسأجيب عن هٰذَا السؤال بعلمٍ إِنْ شَاءَ اللهُ.

هٰذِه الأسئلة الثلاثة سأجيب عنها في آخر المسألة، قلتها الآن تشويقًا، حَتَّىٰ لا يمل الإخوة، وينتظرون حَتَّىٰ نفرغ إِنْ شَاءَ اللهُ.

أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يُؤَلِّفَ بين القلوب، وأن يهدينا إِلَىٰ ما اُختلف فيه من الحق بإذنه، وأن يُسدِّدَ ألسنتنا ويجعلنا حماةً للتوحيد وأهله دعاةً إليه.

وفق الله الجميع..... واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وَأَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.